#1

طوق الحمامة

في الألفة والأُلاّف

تأليف

أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الأندلسي

المتوفى سنة 456 هـ

جمعه وحققه وشرحه

الدكتور عفيف نايف حاطوم

دكتوراه من جامعة عين شمس والمصورين

دار صادر

بيروت

ومُرِّكَ ، وسِرِّكَ وجهرك ، يَحدوك الودُّ الصحيحُ الذي أنا لك على أضعافه ، لا أبتغي جزاء غير مقابلته بمِثْله ؛ وفي ذلك أقول مخاطباً لعبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أمير المؤمنين الناصر[1] رحمه الله في كلمة لي طويلة وكان لي صديقاً : [من الطويل]

أودُّك وُدّاً ليس فيه غَضاضةٌ ... وبَعْضُ مَوَدّاتِ الرِّجالِ سَرابُ[2]
وأَمْحَضُكَ النُّصْحَ الصَّريحَ وفي الحَشا ... لِوُدِّكَ نَقْشٌ ظاهِرٌ وكِتابُ[3]
فَلَو كان في رُوحي سواكَ اقتلعتُه ... ومُزِّقَ بالكفَّين عنه إهابُ[4]
وما ليَ غيرُ الوُدِّ مِنْكَ إرادةٌ ... ولا في سِواهُ لِيَ إليك خُطابُ
إذا حُزتُهُ فالأرضُ جَمْعاءُ والورى ... هباءٌ وسُكّانُ البلادِ ذبابُ[5]

وكلفتني ـ أعزّك الله ـ أن أصنِّفَ لك رسالةً في صِفَة الحبِّ ومعانيه وأسبابِهِ وأعراضِهِ ، وما يقع فيه وله[6] على سبيل الحقيقة ، لا متزيِّداً ولا مُفنِّناً ، لكنْ مُورِداً لما يحضُرني على وَجْهِه وبِحَسَبِ وقوعه ، حيث انتهى حفظي وسعةُ باعي ، فيما أذكره ، فبدرت إلى مرغوبك ، ولولا الإيجابُ لك لَما تكلَّفته ، فهذا من العَفْو ، والأَولى بنا مع قِصر أعمارنا ألا نصرفها إلا فيما نرجو به رَحْبَ المُنْقَلَب وحُسْنَ المآب غداً ، وإن كان القاضي حمام بن أحمد[7] حدّثني عن يحيى بن مالك بن عائذ بإسناد يرفعه إلى أبي الدرداء[8] أنه قال : أجمُّوا[9] النفوسَ بشيء من الباطل ليكونَ عوناً لها على الحقّ ؛ ومن أقوال الصالحين من السَّلَفِ المَرْضِيّ : مَن لم يحسنْ يتفتَّى[10] لم يُحْسِنْ يتقرَّى[11] . وفي بعض الأثر : أريحوا النفوسَ فإنها تصدأُ كما يصدأُ الحديد .

---

1 عبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أمير المؤمنين الناصر . (راجع الجمهرة لابن حزم 103) .

2 الغضاضة : العيب يقال لا غضاضة عليك في هذا العمل .

3 محضه الود : محض فلاناً الوُدَّ أو النصْح مَحْضاً : أخلصه إيَّاه .

4 الإهاب : الجلد أو ما لم يُدبغ ، ج أُهُبٌ وأَهَبٌ .

5 لو أن ابن حزم شاعرنا الكبير وأديبنا وفيلسوفنا استبدل لفظة ذباب التي جعلها قافية لهذا البيت بلفظة ذئاب لكان أحسن وأجاد . فلا يجوز أن يقال عن جميع الناس في الأرض ومنهم الخير أو الشرير أنهم كلهم في نظره إما هباء أو ذباب . والهباء : الغُبارُ .

6 في ت وم : فيه ولهُ .

7 القاضي حمام بن أحمد بن مالك بن عائذ توفي بقرطبة 412 الصِّلَة 153 والجذوة 187 والبغية رقم 677 .

8 أبو الدرداء وأمّ الدرداء من الصحابة والدَّرد محرَّكةً ذهاب الأسنان ، والد . والدَّرداء كنيية كانت لهم .

9 أجم الأمر : دنا وحان ، وأَجَم الإنسان والفرس ونحوهما ـ أراحه ويقال : أجمَّ نفسك وأَجْممها .

10 فتي : والفُتوَّة : الكرم ، وقد تفتّى وتفاتى وفَتَوْتُهم : غلبتهم فيها .

11 يتقرَّى : وأَقرى طلب القِرى ، ولزم القُرى ، وأَقْرى الجُلَّ على الفرس : ألزمه . في ت : يتقرّا . بالألف الطويلة والصواب عند برشيه : يتقرَّى بالألف المقصورة . وفي م : يتقوَّى .